من مقاصد القرآن

الدكتور ثقيل بن ساير الشمري

بحث نشر في كتاب

"رسالة القرآن"

بمشاركة نخبة من الباحثين والكتاب

وتنسيق إدارة البحوث والدراسات الإسلامية بوزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية بدولة قطر

الطبعة الأولى ربيع الأول 1431هـ - شباط (فبراير) 2010م

أعيد نشره إلكترونيا رمضان 1439 هـ / 2018م

من مقاصد القرآن

الدكتور ثقيل بن ساير الشمري(*)

العناية بالقرآن من أجلِّ ما تنصرف إليه الهمم، لما في ذلك من الأجر العظيم.. وقد كان وصف هذه الأمة في الكتب السابقة بأن أناجيلهم في صدورهم.. هذا القرآن كان وما يزال محفوظاً في صدور الرجال ﴿..بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ...﴾ (العنكبوت:49).

تمهيد:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، قيمًا لينذر باسا شديدًا من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، ما كثين فيه أبداً، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً؛ والحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا.

(*) نائب رئيس محكمة التمييز (قطر).

والصلاة والسلام على نبينا محمد، المبعوث بالهدى والرحمة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وآله وصحبه ومن سار على دربه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله سبحانه قد منّ على خلقه وخاصة المؤمن منهم بأن بعث فيهم رسوله الكريم ﷺ وأنزل معه أفضل كتبه وخاتمها والمهيمن عليها، يقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران: 164).

وفي صحيح مسلم، من حديث عياض بن حمار المجاشعي، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**أَلا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ...**»[1]. هذا الكتاب هو المهيمن على الكتب السابقة كلها، يقول الله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾(المائدة:48)، والمعنى أنه عال ومرتفع على ما تقدمه من الكتب، وهو أمين عليها وحاكم وشاهد

(1) أخرجه مسلم.

وقيّم عليها، يقول ابن جرير، رحمه الله: القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل. ا هـ..

وكتاب الله له المكانة العظيمة في قلب كل مسلم، وهو أيضاً عظيم في نفسه كريم مجيد عزيز، فالقرآن مصدر (قرأ) قرآناً، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة: 17- 19).

والكلام المقروء نفسه يسمى قرآنًا كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾(النحل:98)،والقرآن كلام الله حقيقة، لفظه ومعناه من الله، أنزله على عبده محمد بن عبد الله ﷺ وحياً، فهو منزل غير مخلوق، يقول الله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾(الزمر:1)، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾(النحل: 102)، ويقول: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ (غافر: 1- 2)، ويقول: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾(فصلت:2)، ويقول: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ (الإسراء: 106)، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وعلى هذا أجمع سلف الأمة، رحمهم الله جميعاً.

وقد سمى الله هذا الكتاب بأسماء كثيرة في كتابه، ووصفه كذلك بصفات كثيرة، وإنما يدل هذا على شرف هذا الكتاب وعظمته، فهو القرآن، والفرقان، والكتاب، والهدى، والنور، والشفاء، والبيان، والموعظة، والرحمة، والبصائر، والبلاغ، وهو العربي، والمبين، والكريم، والعظيم، والمجيد، والمبارك، والتنزيل، والصراط المستقيم، والذكر الحكيم، وهو حبل الله، وهو الذكرى والتذكرة والبشرى، وهو المصدق لما بين يديه من

الكتاب، وهو المهيمن عليها. وهو المثاني، وفيه تفصيل كل شيء، وتبيان كل شي، وهو الذي لا ريب فيه، ولا عوج فيه، يقول الله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمر: 28)، ويقول سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان:1)، ويقول سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:1- 2)، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: 97)، ويقول سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (آل عمران: 58)، ويقول عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (النساء: 174)، ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس:57)، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: 9).

ويقول جل وعلا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ (الكهف: 1- 2)﴾، ويقول عز من قائل سبحانه: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (البروج: 21- 22)، ويقول عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الواقعة: 77- 80)، وغير ذلك من الآيات كثير، فيها أسماء هذا الكتاب العظيم وصفاته، مما ينبيك على عظيم قدره وجليل شرفه، كيف والمتكلم به هو رب الأرباب –سبحانه – عالم الغيب والشهادة، القائل: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى

ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان:27).

ومما ينبغي أن يعلم أن كل اسم أو صفه لهذا الكتاب العزيز فهو دال على معنى اختص به، ولولا خشية الإطالة لنبهنا على جملة تكون معينة على فهم ما بقي.

هذا وإن مما اختص به هذا الكتاب الكريم أن الله سبحانه تكفل بحفظه ولم يكل حفظه الى احد من خلقه، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(الحجر:9).

يقول ابن القيم، رحمه الله: «فوصفه سبحانه بأنه محفوظ في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، وصف محله بالحفظ في هذه السورة، أي البروج، فالله سبحانه حفظ محله، وحفظه من الزيادة والنقصان والتبديل، وحفظ معانيه من التحريف كما حفظ ألفاظه من التبديل وأقام له من يحفظ حروفه من الزيادة والنقصان ومعانيه من التحريف»ا هـ.(1).

كتاب الله الكريم هو المنجي من الفتن، وهو أنيس المؤمن ونور قلبه وربيع صدره وجلاء همه وغمه، كتاب الله فيه نبأ ما قبلنا وخبر ما بعدنا وحكم ما بيننا، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه ولا تفنى عبره، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ (الجن: 1).

(1) التبيان،62/1

من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، وهو الآية الكبرى والمعجزة العظمى التي أوتيها نبينا ﷺ، حيث يقول: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(1).

معجز في لفظه وبيانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(البقرة: 23)، معجز في تيسير تلاوته وقرآنه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر:17)، معجز فيما حواه من قصص الماضين لنعتبر: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾(يوسف:3)، ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف:111)، معجز فيما حواه من عقائد الشريعة وشرائع الدين، لنمتثل: ﴿الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (إبراهيم:1)، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾(النحل:89)، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ (الزمر:2)، ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأنعام :155)، معجز بما حواه من أخبار الغيب ؛ لنؤمن ونسلم: ﴿الم ۚ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۙ﴾

(1) أخرجه مسلم.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: 1-3).

أية ظاهرة وحجة باهرة من بعثة النبي ﷺ إلى أن يأذن الله برفعه، تحدى الله به أفصح الناس فلم يستطيعوا، بل تحد به الجن والإنس مجتمعين فأعياهم: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(الإسراء: 88)، امتن الله به على نبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ (الحجر: 87)، يهدي إلى الطريق القويم والمنهج المستقيم: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾(الإسراء: 9).

هذا وأن لتلاوة هذا الكتاب أجراً عظيمًا وفضلاً كبيرًا، يقول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(فاطر: 29- 30).

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: « **لا حَسَدَ إلاّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**»(1)، وعن ابن مسعود، رضي الله عنه، قال: « **مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لا أَقُولُ (ألم) حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(2).

(1) أخرجه مسلم.

(2) أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وصاحب القرآن هو المقدم في الدنيا والآخرة، وهم أهل الإكرام والإجلال، فعن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: « **إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»(1).

وعن أبي مسعود الأنصاري البدري، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: « **يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ**»(2). وقال ابن عباس، رضي الله عنهما: «**كان القراء أصحاب مجلس عمر رضي الله عنه ومشاورته كهولاً كانوا أو شبابًا**».

وعن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّ مِنْ إِجْلالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**»(3).

وعن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ؛ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ، لا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ؛ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ؛ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ**»(4).

هذا في الدنيا أما في الآخرة فثوابه أعظم أن عُمِل به، وأجره أكبر؛ عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ**

---

(1) أخرجه مسلم.

(2) أخرجه مسلم.

(3) أخرجه أبو داود وحسنه النووي.

(4) أخرجه مسلم.

مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ»[1]؛ « **الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»**[2].

وعن أبي أمامة الباهلي، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ**»[3].

وصاحب القرآن هو المقدم في أول منازل الآخرة، فعن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما أن النبي ﷺ: «كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ ثُمَّ يَقُولُ: **أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟** فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ وَقَالَ: **أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[4].

ولا يزال صاحب القرآن يترقى في منازل الجنة على قدر ما معه من القرآن، فعن أبي أمامة الباهلي، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا**»[5].

ولا شك أن العناية بحفظ القرآن من أجلّ ما تنصرف إليه الهمم؛ لما في ذلك من الأجر العظيم، وقد كان وصف هذه الأمة في الكتب السابقة أن أناجيلهم في صدورهم. وهكذا فإن الله سبحانه قد أخبر في كتابه أن هذا الكتاب محفوظ في صدور الرجال، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا

---

(1) أخرجه الترمذي، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(2) أخرجه مسلم.

(3) أخرجه مسلم.

(4) أخرجه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(5) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(العنكبوت: 48- 49)، فأخبر سبحانه أنه في صدور العلماء محفوظ، وهذا يصدق الحديث القدسي الذي فيه «**إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ...**»(1)، والمعنى أن الماء لا يمحوه إذ هو محفوظ في الصدور.

وقد شبه النبي ﷺ من لم يحفظ شيئًا من القرآن بالبيت الخرب، فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ**»(2).

وقد تقدمت معنا الأحاديث الدالة على إكرام حامل القرآن وعظيم منزلته.

وحفظ القرآن مشروع للمسلم،والقدر الواجب عليه منه هو ما يحتاج إليه في تصحيح عبادته، وقول شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: « وأما حفظ جميع القرآن وفهم جميع معانيه ومعرفة جميع السنّة فلا يجب على كل أحد، لكن يجب على العبد أن يحفظ من القرآن ويعلم معانيه ويعرف من السنّة ما يحتاج إليه» ا.هـ.

إن القرآن أثبت وجود الله عز وجل للجاحدين والمجادلين، وأثبت وحدانيته للمشككين، كما أثبت نبوة النبيين ورسالة المرسلين، وأثبت أن البشرية لا بد لها من يوم ترجع فيه إلى الله، وهو يوم البعث والجزاء، وقد كان منهج القرآن واضحاً في إثبات ذلك كله، وقد جعلت هذه المقالة في مباحث تسهيلاً لبيان الموضوعات التي أثبتها القرآن.

---

(1) أخرجه مسلم.
(2) أخرجه الترمذي، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

المبحث الأول

إثبات وجود الله

من أهم الموضوعات التي تحدث عنها القرآن العظيم إثبات وجود الله ووحدانيته، فوجوده عز وجل حقيقة لا تقبل النقاش والجدل؛ لأنها ضرورة تسري في الأحاسيس والمشاعر، وتتغلغل في أعماق النفس الإنسانية، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: 22).

وتقرير هذا الدليل على وجود الله كما يسوقه علماء الكلام من غير أن نتسامى إلى مقام البيان القرآني أنه لو كان في السموات والأرض إله غير الله لتنازعت الإرادتان بين سلب وإيجاب، وأن هذا التنازع يؤدي إلى فسادها لتناقص الإرادتين، ولكنهما صالحان غير فاسدين فبطل ما يؤدي إلى الفساد فكانت الوحدانية، فسبحان الله رب العرش عما يصفون[1].

وقد أثبت القرآن الكريم للملحدين والمتألهين وجود الحق عز وجل وبقيت أدلته صخرة صلبة تحطمت عليها أفكار هؤلاء قديمًا كما تتحطم عليها أفكارهم في كل زمان ومكان؛ لأن الوجود الإلهي يفرض نفسه على أحاسيسهم ومشاعرهم ويقولون به من حيث لا يشعرون؛ لأن الإيمان بوجود الله ضرورة حتمية وبديهة لا تقبل الفطر الإنسانية الأخذ والرد فيها وإن انحرفت بعض الفطر الإنسانية ومالت إلى الجحود فهذا لا يعني عدم الإحساس بوجود الله، ولكنها أصيبت بنكسات قلبية أودت بها في المتاهات

(1) أبو زهرة، المعجزة الكبرى،ص401.

المظلمة ولم تستخدم ما وهبها الله من تفكير للنظر في الكائنات والتبصر في الموجودات لتستدل به على خالق هذا الكون ومدبره. قال أبو العتاهية:

ولله في كل تحريكة وتسكينة في الورى شاهد

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وقد رد القرآن على الملحدين المنكرين لوجود الله بصرف النظر عن ادعائهم الكاذب المبني على الجهل بل لا يناقشهم في جهلهم وتفاهة تفكيرهم، إنما يهددهم وهو يرسم لهم مشهدًا مرعبًا وهم معروضون أمام الله، جاثون مع الجاثين، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية: 24- 28).

فهؤلاء الملاحدة زعموا أنهم وجدوا في هذه الحياة بحكم طبيعة النشوء والتوالد الماديين، وأن الدهر سيفنيهم تلقائيًا عند انتهاء حياتهم، وعلى هذا فهم لا يعترفون بإله خلقهم ورزقهم في الحياة الدنيا ولا يؤمنون بإله يتوفى الأنفس حين موتها ويبعثها مرة أخرى ليفصل بين خلقه فيسعد أولياءه ويظهر العدل مع الجاحدين لوجوده.

وهؤلاء الدهريين الذين ادعوا أن ليس هناك خالق موجود، وأنهم وُجدوا في الحياة عن طريق التوالد بين الذكر والأنثى، وسيموتون بفقدان الحياة عندما يتعرض أحدهم لشيء من نوازل الدهر، ومثل هذه الدعوى رد عليها القرآن الكريم وفندها بأمرين:

1- بنفي العلم عنهم فيما يتعلق بدعواهم، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ (الجاثية:24)، والنفي هنا يفيد العموم لأنه نكرة في سياق النفي فيعم(1).

2- إثبات الظن والتخرص في دعواهم: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ (الجاثية: 32).

فقد نفى القرآن أن تكون دعواهم مستندة إلى دليل، وإذا عُدم الدليل في الدعوى أو طعن فيه بشيء من المطاعن المعتبرة سقطت الدعوى، أو كما يقال: إذا نقضت المقدمة بطلت النتيجة(2).

وقد رد القرآن عليهم في غير هذه الآيات بإثبات وجود الله بالبراهين القطعية عن طريق الحصر المنطقي، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾(الطور:35- 36).

فثبت عن طريق هذا الحصر قيام البرهان القطعي على وجود الله تعالى وإبطال دعوى المنكرين من الماديين والدهريين.

وإذا أردنا أن نعرف الطريق التي دعا إليها القرآن الكريم في إثبات وجود الله تعالى وجدناها تنحصر في طريقين، كما ذكرهما ابن رشد:

الأول: الوقوف على العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجله، ويمكن أن نسميه دليل العناية.

الثاني: دليل الاختراع وهو ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودة مثل اختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحية والعقل.

---

(1) تفسير التحرير والتنوير(الدار التونسية) 361/25.

(2) التحرير والتنوير، 372/25.

وقد ذكر ابن رشد أن الآيات الواردة في القرآن المنبهة على الأدلة المفضية إلى وجود الصانع سبحانه تنحصر في هذين الجنسين من الأدلة، يعني بذلك دليل العناية ودليل الاختراع؛ وذلك أن الآيات التي تشير إلى المعنى الذي ذكرناه تنحصر في ثلاثة أنواع:

1- آيات تتضمن الإشارة إلى دلالة العناية.

2- آيات تتضمن الإشارة إلى دلالة الاختراع.

3- آيات تجمع الأمرين من الدلالة جميعًا[1].

فأما الآيات التي تتضمن الإشارة إلى دلالة العناية فقط فمثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ (النبأ: 6- 16)، ومثل قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ (الفرقان:61)، ومثل قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ (عبس: 24).

وأما الآيات التي تتضمن الإشارة إلى دلالة الاختراع فقط فمثل قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾(الطارق:5- 6)، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾(الغاشية:17)، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ (الحج:73).. وغير ذلك من الآيات.

---

(1) الكشف عن مناهج الأدلة في العقائد، ص69.

وأما الآيات التي تجمع الدلالة فهي كثيرة أيضًا بل هي الأكثر، مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾(البقرة:21- 22).

وقوله: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ إشارة إلى دلالة الاختراع، وقوله: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ إشارة إلى دلالة العناية.

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ﴾ (يس:33)، وقوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (آل عمران:191).

وقد جاء القرآن الكريم بالأدلة الكونية في الأنفس والأفاق شاهدة بوجود الله تعالى متمثله في بدائع وأحكام تصريفه لشؤون خلقه، جاءت واضحة في نظام الكائنات وسائر المخلوقات. وقد وجدت هذه الكائنات على هيئة صالحة لاستخدام الإنسان لها وتذليلها له وتسخيرها للانتفاع بها.

كما أن خلق الإنسان في تركيب بدنه وأجزائه وعجائب تكوينه على هيئة تدعو إلى الدهشة والحيرة كلها تدل على أن هذه العناية والدقة في سائر المخلوقات محال أن تكون نفسها بنفسها، ومحال أن تكون على سبيل المصادفة العمياء، ومن غير حكيم وصائغ مبدع أفاض عليها من عنايته وحكمته وهو الله سبحانه تعالى.

وقد استخدم القرآن الكريم ما في عالم الحيوان من عجائب خلقه وتكوينه وأجهزته الدموية والهضمية والعصبية والتنفسية ونظام التوالد وتنوعه إلى حيوانات برية وبحرية وهوائية طائرة وحيوانات طويلة العمر

وأخرى قصيرة الأجل، وحيوانات تبيض وأخرى تلد، وحيوانات لأكل لحمها وأخرى لألبانها، وغير ذلك بل كان بصنع فاعل حكيم مختار ليس من جنس الحوادث، بل هو خالق كل شي سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (النور:45)، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام:38)، وقال عز وجل: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (هود: 6)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(النحل:79)، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ (الملك: 19).

كما استخدام القرآن لإثبات الخالق ما في عالم النبات من عجائب وسنن كونية تحار فيها العقول البشرية، كيف توضع الحبة في الأرض الرطبة فلا تتلفها الرطوبة لكنها تربو وتنشق من أسفل عن جذور تمتد إلى باطن الأرض ومن أعلى عن ورق وساق يصعد إلى أعلى شاقًا لنفسه طريقًا من بين التراب، وكيف يتنوع عالم النبات ويختلف شكلاً ونوعًا وطعمًا ومذاقًا ولوناً ورائحة، وتختلف كذلك الثمار والفواكه، وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾(الأنعام: 141)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾

(فاطر:27)، وقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ (الرعد:4).

وفي تدليل القرآن على إثبات وجود الله لفت الأنظار والعقول إلى عالم الكواكب وما فيه من عجائب، كيف أن السماء رفعت بلا عمد، والأرض بما فيها من بحار وأنهار وجبال تسير في الفضاء بدقة ونظام في سيرها لا يرتطم بعضها ببعض، نعلم من حركتها عدد السنين والحساب والليالي والأيام وتتنوع بسبب سيرها الفصول السنوي من صيف إلى شتاء وإلى ربيع وإلى خريف، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المعاني والأمور، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾(الرعد:2)، وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ (النحل:12).

كما وجه القرآن الكريم إلى النظر بأمر الرياح وتوابعها قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ (الحجر:22)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(الأعراف:57).

كما نبه القرآن الكريم إلى ما يتبع الرياح والهواء ويتفاعل معه من السحاب والمطر والرعد والبرق، وأن كل ذلك عجيب الصنع دقيق الحصول متنوع في كمه وكيفه وفي الآثار المترتبة عليه وفي سبب حصوله، وتكونه، وفي انتفاع العباد والبلاد به، وما يتبع ذلك من اختلاف في الدراسات البيئية، لو نظرنا إلى كل ذلك بتمعن لأدركنا أن فاعل ذلك لا بدّ أن يكون

حكيمًا عليمًا، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ (النور:43- 44)، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ (الرعد: 12- 13).

ومازال القرآن يحشد الأدلة على إثبات وجود الله، ويلفت أنظار الجاحدين إلى الأرض وما فيها من بحار وأنهار وجبال، وما في باطنها، وإلى صلاحيتها للحياة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾ (فاطر:27- 28)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الرعد:3).

كل هذه الآيات بتنوع أساليبها واختلاف موضوعاتها تلفت الأنظار إلى أن هذا الكون وما يحتويه لم يكن وليد المصادفة والاتفاق وإنما هو مخلوق عن علم عليم وقدرة قادر، وهو الله عز وجل.

المبحث الثاني
إثبات وحدانية الله

البحث هنا متعلق بالمبحث السابق؛ لأن الأول يتعلق بالأدلة على وجود الله والبحث هنا متعلق بالأدلة على وحدانية الله تعالى، وهو متضمن للأول إلزامًا والتزامًا، بمعنى أن من أقر بوحدانية الله فقد اعترف بوجوده سبحانه، بينما المبحث الأول يتضمن الثاني إلزامًا فقط، فقد كان المشركون يقرون بوجود الله تعالى كما قال عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (الزخرف:9).

ولم يدخلهم إقرارهم بوجود الله في التوحيد الذي بعث الله من أجله الرسل وهو توحيد الإلهية، ولكنهم ملزمون بإقرارهم، فإنه إذا ثبت أن خالق هذا الكون موجود ثبت أنه واحد؛ لأن الصنعة مفتقرة إلى الصانع وليست مفتقرة إلى ما زاد على الصانع، فصار وجود ما زاد على الصنعة جائزًا والجائز الوجود لا يجوز أن يكون إلهًا مبدعًا قديمًا(1).

وقد سلك القرآن في استدلاله على وحدانية الله مسلكين:

- **المسلك الأول**: الاستقلال على ذلك بانتظام الكون وسلامته من الاختلال والتصادم، ومن أبرز الأدلة في ذلك ما يسميه علماء الكلام بدليل التمانع، ويتمثل هذا في ثلاث آيات هي:

1- قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: 22).

(1) ابن الحنبلي، استخراج الجدال من القرآن، ص11.

2- قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: 42).

3- قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون: 91).

فتقرر الدليل في الآية الأولى أن يقال: الله واحد؛ لأن التدبير لا ينتظم في دار واحده بمدبرين فكيف ينتظم التدبير العام في جميع هذا الكون بمدبرين؟ فلو وجد ذلك لتنازعت الإرادتان بين سلب وإيجاب، إذ يريد أحدهم حياة شخص والآخر موته، أو إسعاده والأخر شقاءه، وهذا التنازع يؤدي إلى فساد السموات والأرض لتخالف الإرادات، ولكنهما صالحان غير فاسدين فبطل ما يؤدي إلى فسادهما وهو تعدد الآلهة، فثبتت الوحدانية لله تعالى، وتقرير الدليل الثاني، مبني على فهم المراد من قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (الإسراء:42).

وفيه قولان:

الأول: أن المراد به على فرض وجود آلهة مع الله فإنها ستطلب إليه القربى وتفتقر إليه، والجواب عن هذا الافتراض أن من يفتقر إلى غيره لا يصلح أن يكون إلهًا.

الثاني: أن المراد به على فرض وجود آلهة مع الله فإنها ستتجه لمنازعته على السلطة فيقع الصدام الذي ينتج عنه فساد العالم. والجواب عن هذا الافتراض أنه لم يفسد العالم ولم يختل نظام الكون فثبت أن ليس مع الله آلهة أخرى.

وتقرير الدليل في الآية الثالثة قريب مما تقدم في الآية الثانية، فإنه لو فرض وجود إله مع الله لانفرد كل إله بسلطان مستقل واتجه للمغالبة

والاستعلاء بالقوة على غيره فينشأ عن ذلك فساد الكون أو تغلب أحدهما على الآخر، والمغلوب لا يكون إلهًا، ولكن نظام الكون لا فساد فيه ولا اختلال فدل على أن مدبره إله واحد هو الرحمن الرحيم، وقد ذكر بعض العلماء أنه قد تثار الشبهة على هذه الأدلة من وجهين:

1- أنه يجوز أن يكون اثنان تتفق إرادتهما فلا يقع خلاف وبالتالي لا فساد.

2- قالوا: لما رأينا وجود الشيء وضده مثل الموت والحياة والنور والظلمة والخير والشر وما يقتضي الحكمة وينافيها من النقض بعد البناء والعجز بعد القوة جاز أن ينسب إلى مدبرين اثنين.

والجواب على الوجه الأول: أن يقال يستحيل وجود اثنين متحدين إرادة متكافئين علمًا، والقدرة والإرادة والحكمة والتدبير على وجه لا تتقدم صفة الآخر في الأعيان والأذهان، فإذا وجدا – وذلك مستحيل متعذر – فهما واحد سموه اثنين؛ ويقال في حصر هذا الافتراض: لو فرض وجود إلهين وأراد أحدهما تحريك جسم وأراد الآخر تسكينه، فلا يخلو الأمر إما أن يحصل مرادهما فيكون الجسم ساكنًا متحركًا في أن واحد، وهذا جمع بين النقيضين وهو باطل، وإما لا يحصل مراد واحد منهما فيخلو الجسم من الحركة والسكون وهذا ممتنع بالإضافة إلى عجز كل منهما في تنفيذ مراده، ومن كان كذلك فليس بإله قادر، وأما أن يحصل مراد أحدهما دون الآخر فالذي حصل مراده هو الإله القادر والآخر عاجز لا يصلح للإلوهية، وإما أن تتنازع الإرادتان فيستعمل كل إله سلطته وقدرته ضد الآخر فينشأ عن هذا فساد الكون وخراب العالم، والواقع والثابت أن

الكون بما فيه يجري على أحكم نظام ودقة، فتبين من هذا أن خالق هذا الكون ومن فيه إله واحد.

والجواب عن الوجه الثاني: أن صدور الشيء وضده أدل على قدرة الصانع، وقد نبه سبحانه وتعالى على ذلك في عدة مواضع من الكتاب العزيز، من ذلك قوله تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(الرعد:4)، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ (يس:80).

- **المسلك الثاني:** في التركيز على إبطال معبودات المشركين وبيان حقارتها وذلها وعجزها وأنها لا تخلق ذبابة ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها ضررًا ولا تجلب لها نفعاً فكيف تملك لغيرها ضرًا أو نفعًا؟ وبيان تفاهة المشركين أيضًا عندما يعبدون هذه الأوثان وأنها أضعف وأحقر من أن يقام لها وزن أو يثار حولها جدل، قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت:41).

وقد بعث الله الرسل وأنزل الكتب لتحقيق هذا المبدأ العظيم وهو إثبات وحدانية الله تعالى وترك ما يعبدون من دونه، وهذا الأصل العظيم هو الأصل الأول، الذي دعت لتحقيقه جميع الأديان السماوية، إذ بعث الله في كل أمة رسولا يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(النحل:36).

المبحث الثالث

إثبات الرسالات

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان بدنًا وروحًا، ولكل من البدن والروح غذاؤه ومقوماته، فالبدن يجد كفايته في الماديات والمحسوسات من المأكل والمشارب من نعم الله المبثوثة في الأفاق والروح، تجد كفايتها فيما جعل الله من معقولات ومدركات معنوية ومفاهيم فكرية ورسالات سماوية منزلة من الله تعالى لهداية بني الإنسان، وإرشادهم بما في هذه الرسالات من قيم ومبادئ يسعدون بها في العاجل والآجل، وهذه الرسالات المنزلة هي رحمة من الله بعباده ليربيهم بالنعم الروحية، كما يربيهم على موائد كرمه بالنعم المادية.

ولا بد لهذه الرسالات من رسل يحملونها ويبلغونها عن الله تعالى، وهم الصفوة الخيرة من بني الإنسان، فلا تكون الرسالة ألا لمن اختصه الله بهذه النعمة وأعده لحمل رسالته: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام:124).

إن هؤلاء الرسل لم تكن مهمتهم سهلة ولم يفرش طريقهم بالورود والرياحين، فقد كانت حياتهم جهادًا لإعلاء كلمة الله وتبليغ رسالاته، كانت صراعًا بين الحق والباطل. وجاء الرسل، عليهم السلام، بما كلفوا بحمله من شرائع وما أمروا به من تبليغ، فعرضوا ذلك على أقوامهم فقابلهم أكثر الناس بالتكذيب والازدراء وبما وجدوا عليه إباءهم من ألف للعادات والتقاليد، ولجأوا إلى انتحال الشُبه لإبطال تلك الدعوات، وقد ذكر القرآن الكريم أنواعًا من مواقف الأمم السابقة مع أنبيائهم مما يشهد لهم بإبلاغ رسالات الله وإقامة الحجج على أقوامهم، ويشهد لهم بالصبر والثبات مهما واجهوا من معوقات تعترض طريقهم؛ فمن تلك المواقف:

1- موقف قوم نوح، عليه السلام، من رسالته:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾(نوح: 1- 3)؛ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٢٣ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٢٤ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ (المؤمنون: 23- 25)؛ وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥٩ قَالَ ٱلۡمَلَأٞ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦٢ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝٦٣ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ﴾(الأعراف:59- 64).

من مجموع الآيات السابقة يتجلى لنا الصراع الذي دار بين نوح، عليه السلام، وقومه مما يشهد له بإبلاغ الرسالة، لقد دعا قومه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، وطاعته وتصديقه في كل ما يبلغ عن الله؛ لأنه رسول من الله، والرسول يطاع ويتبع، وقد قابله قومه بالتكذيب لرسالته واتهامه بأنواع التهم والمفتريات الباطلة فقد قالوا عنه إنه بشر، ومعنى هذا أن الرسالة لا تكون لبشر، إذ لو أراد الله أن يرسل رسولاً لجعله من الملائكة، فكيف يدعي الرسالة رجل من البشر؟ والرد على الشبهة أن الله تعالى هو الخالق وهو الإله الحق، فله أن يأمر عباده ببعض الأشياء وينهاهم

عن بعضها، ولا يجوز أن يخاطبهم بتلك التكاليف من غير واسطة، ولا يجوز آن يكون ذلك الرسول واحدًا من الملائكة لعدم إمكان تلقي الناس التكاليف الشرعية منه وهو على صورة بشر، كما كان جبريل يتمثل عند نزوله بالوحي على الرسل فإذا تمثل للناس في صورة بشر، حصل اللبس والتكذيب، وقد بين الله هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾(الأنعام:9)، فكونه ملكًا يأتي في صورة إنسان أشد غرابة وأبعد عن التصديق مما لو جاء هذا التكليف على لسان رجل منهم يعرفون صدقه وأمانته وقدره ومكانته.

وهكذا كان رد نوح، عليه السلام، ينفي الاستغراب والتعجب من تكليف الله تعالى لرجل من جنسهم لحمل الرسالة وإبلاغها، فقال: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف:63)؛ فقد ظنوا أن الذي يأتي نوحًا، عليه السلام، من الوحي إنما هو من جنس الجنون والتخيلات الشيطانية، ولهذا قالوا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (المؤمنون:25).

والرد على هذه الشبهة: أن المجنون لا يأتي بما فيه الرشد والسعادة، ولا يقيم الحجج والبراهين على مدعاه.

ونوح، عليه السلام، على عكس ما يزعمون تمامًا، فقد دعاهم إلى ما يصلحهم في الدنيا والآخرة، وأقام الحجج والبراهين عليهم مستدلاً بالآيات الكونية والنفسية، كما جاء في سورة نوح.. وكان رده عليهم في كثير من الأحيان يتسم بطابع الهدوء والتلطف، فقد كانوا يجاوبونه بفظاظة القول كقولهم: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(الأعراف:60)، وكان جوابه بتبيان مهام رسالته دون جفاء حيث قال: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ

وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(الأعراف:61- 62).

2- موقف قوم شعيب، عليه السلام، منه:

قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الشعراء:176- 189).

وقال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾(هود:84)، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾(هود:94- 95).

بعث الله شعيباً، عليه السلام، إلى مدين وهم أصحاب الأيكة على القول الراجح من أقوال المفسرين لقوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء:176- 177)، ولأن القرآن وصف

أصحاب مدين وأصحاب الأيكة بأنهم يطففون المكيال والميزان، فدل على أن أصحاب مدين هم أصحاب الأيكة.

وقد اشتمل نقاشهم مع شعيب، عليه السلام، على مطالب أساسية كان شعيب يدعوهم إليها: وهي الإقرار بوحدانية الله ونبذ كل معبود من دون الله. كما طلب من قومه أن يسمعوا ويطيعوا له فيما يبلغ عن الله من أمور الرسالة، ونهاهم عن التطفيف في الكيل والميزان أو بخس الناس أشياءهم أو الإفساد في الأرض .. واعترضوا على هذه المطالب بتكذيبه ونفي رسالته حيث قالوا: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (الشعراء:185- 186).

فاعتراضهم عليه بأنه رجل مسحور، والوحي الذي يأتيه إنما هو نوع من السحر، ثم إنه على فرض سلامته من السحر فإنما هو بشر مثلهم ويعنون بهذا أن الرسالة لا تكون على يد أحد من البشر، ثم ختموا ذلك بالتكذيب، وكأنهم يقولون أنت على أي حال من الأحوال كاذب فيما تزعم من دعوى الرسالة والتبليغ عن الله.

والرد على هذه الاعتراضات الساقطة أن يقال: إن دعوة شعيب، عليه الصلاة والسلام، وأحواله العقلية والخلقية لا تتناسب مع أحوال المسحرين وأصحاب الأمراض النفسية، وقد شهدوا له بأنه حليم رشيد، وقد دعاهم إلى أمور عادلة يشهد العقل بصحتها وعدالتها، فهو يأمر بالوفاء وينهي عن بخس الناس حقوقهم وعن السعي في الأرض بالفساد، وكل هذه صفات حميدة ومطالب كريمه، ومن هنا يتضح سقوط دعواهم، وأنها باطلة بضرورة العقل كما أنها باطلة بالحس والنقل.

أما قولهم: إنه بشر فمردود؛ لأنه من الطبيعي أن يكون عندهم علم بالرسل السابقين وأخبارهم مع اسمهم كما ذكرهم بقوله: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ (هود:89)؛ فإنكارهم وجود الرسل من البشر إنكار لما هو معلوم لديهم، ولما تشهد به آثار الأمم وأخبارها.

أما التكذيب لرسالته فلا يُقبل منهم؛ لأنه ديدن كل مخالف، وقد قام الدليل على صدقه حيث استجاب الله دعوته وأيده بنصره عندما كذبوه وتحدوه بأن يسقط عليهم كسفًا من السماء وأن ينزل عليهم العذاب؛ لأنه من الصادقين، فابتلاهم الله بالحر الشديد، فكان لا يروي ظمأهم ماء ولا تمنعهم ظلال ولا تقيهم المنازل، ففروا هاربين وخرجوا من ديارهم مسرعين ولكنهم فروا من قضاء الله وقدره إلى قضاء الله وقدره، فقد شافوا سحابة ظنوا أنها واقية لهم من حر الشمس فاجتمعوا تحتها ليستظلوا بظلها ويستريحوا بفيئها حتى إذا تكامل عددهم وتآلف جمعهم قذفتهم بشرر ولهب، وجاءتهم صيحة من السماء وأحسوا الأرض تتزلزل تحت أقدامهم ففزعوا لهول ما رأوا وما كادوا يحسون بما حل بهم حتى أزهقت أرواحهم وهلكت نفوسهم.

وهكذا أثبت الله رسالة شعيب، عليه السلام، كما بين نهاية التكذيب والطغيان وكيف أهلك قوم شعيب بعذاب يوم الظلة، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾(الشعراء:189).

إثبات الرسالة المحمدية

بعث رسول الله ﷺ بالشريعة الختامية، والدين العالمي، وظهر في مجتمع جاهلي يتخبط في عشوائية، ونفوس أهله تتطلع إلى هادٍ يقودهم ويهديهم سواء السبيل، وكانت نزعتهم العقلية تميل إلى الدين، فهم يتشبثون بالأوثان والأصنام ويعبدونها من دون الله لكي تقربهم إلى الله زلفى، ولكن النفوس عندما تألف شيئاً وتقيم عليه طويلاً لا يكون انصرافها عنه سهلاً، ولا ميسورًا، إلا إذا أحاطت بها العوامل الموجبة لذلك من جميع الجوانب، فلقد بدأ ﷺ بالدعوة، وأعلن أنه رسول من عند الله، ودعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة الأصنام فظهرت المعارضة من قومه بشراسة وعنف دون تحكيم للعقل والمنطق السليم في أبعاد تلك الدعوة العالمية الخيرة.

وكانت عوامل التنافس بين أفراد الأسر والقبائل المختلفة من العوامل التي دفعت بكثير من العرب إلى معارضة الرسالة المحمدية بالإضافة إلى موقف اليهود والنصارى منها؛ لأن انتشارها سيعرض ما هم عليه من دين ومعتقدات إلى الزوال والاندثار، وكل هذه العوامل تكالبت للقضاء على رسالة الإسلام الخالدة، ولكن الله كتب لها البقاء وهي خليقة بالبقاء إذ هي منهج متكامل للحياة الإنسانية.

وهذه بعض النماذج لاعتراض المشركين على رسالة محمد ﷺ وكيف رد القرآن عليهم، وأثبت تلك النبوة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ (الفرقان:4).. لقد ادعوا أن هذا القرآن، الذي جاء به رسول الله ﷺ مختلق مكذوب وأعانه على تأليفه وتجميعه قوم آخرون.

وقدر رد القرآن على هذا الافتراء ونقض هذه الدعوى وأبطل هذا الادعاء بأمرين:

1- إنه رجل أمي لا يكتب ولا يقرأ فكيف ظهر عليهم فجأة بهذه المعلومات، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت: 48)؛ إذ لا يعقل أن يأتي رجل أمي بهذا البيان المعجز والنظام الشامل الذي يعجز البشر عن الإتيان بمثله وقريش تعلم أنه لم يتعلم على يد معلم ولم يتلق درساً من مدرس ولا جالس فيلسوفاً حتى يكون لهم أدنى شيء يتعلقون به أو شبهة يتشبثون بها.

2- إنه لو كان في استطاعة محمد ﷺ أن يستعين بمجموعة من العلماء والمفكرين والعباقرة المبدعين أن يأتي بالقرآن من نفسه إن افترض وجود مثل هؤلاء العباقرة حينذاك، لكان في استطاعة قريش وهم أهل الشعر والفصاحة والبيان والبلاغة أن يأتوا بمثله سيما إذا استعانوا بأهل الكتاب وبما لديهم في عرض الأخبار والقصص، ولكن تحداهم الرسول ﷺ في مقامات مختلفة بأن يأتوا بحديث مثله وجعلهم في سعة من الأمر، تحداهم بحديث مثله ثم بعشر سور ثم بسورة، وقد عجزوا في جميع المقامات والصور ثم جاء التحدي العام للثقلين الجن والإنس ليقطع لجاجتهم ومكابرتهم وينهي عناد كل متطاول على هذا القرآن الكريم في كل زمان ومكان فقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء:88)، وهذه حقيقة لا مناص منها ومن أراد التجربة فأمامه الميدان.

قال الشوكاني، رحمه الله، في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (المائدة:1): هذه الآية التي افتتح الله بها هذه السورة فيها من البلاغة ما تتقاصر عنده القوى البشرية مع شمولها لأحكام عدة، منها الوفاء بالعقود، ومنها تحليل بهيمة الأنعام، ومنها استثناء ما يتلى مما لا يحل، ومنها تحريم الصيد على المحرم، ومنها إباحة الصيد لمن ليس بمحرم[1].

فتبين من كل ما تقدم أن دعوى الكفار أن هذا القرآن من عند محمد ﷺ أو من عند غيره من البشر دعوى ساقطة قد أبطلها القرآن، وبهذا التحدي قام البرهان على صدق محمد ﷺ فيما يدعيه من أمر الرسالة، وعجزهم عن معارضة القرآن ملزم لهم بالإيمان بأنه من عند الله، وأمام هذا الشك في أمره مع أنه لو أخبرهم أن خيلاً وراء هذا الوادي ستغير عليهم لصدقوه لأنهم لم يعهدوا عليه كذباً، ثم إنه قد لبث فيهم قبل الرسالة أربعين عامًا فلم يحدثهم بشيء من أمور النبوة: ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ (يونس:16).

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۙ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾ (الفرقان:7- 8).

---

(1) فتح القدير، 4/2.

اشتملت هذه الآية على خمس شبه أوردوها على رسول الله ﷺ طعناً في صفاته زاعمين أنها أمور تخلّ بالرسالة:

أ- أنه كان يأكل الطعام.

ب- أنه يمشي بالأسواق، واعترضوا على أكله الطعام لأنهم أرادوا أن يكون الرسول ملكًا، وعيروه بالمشي في الأسواق فقالوا هذا يطلب أن يتملك علينا فما باله يخالف سيرة الملوك[1].

ج- أنه لم يكن معه ملك يشهد له ويصدقه ويرد من خالفه.

د- أنه لم يلق إليه كنز من السماء فينفقه فلا يحتاج إلى طلب المعايش.

هـ - وإذا لم يكن له كنز فلا أقل من أن يكون له بستان يأكل من ثماره، ثم أعقبوا هذه الشبهات بدعوى أنه رجل مسحور، وبطلان هذه الدعوى ظاهر لكل عاقل.

إن هذه الشبهات في غاية الضعف، ومع ذلك أبطلها القرآن، فرد الشبهة الأولى والثانية بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ (الفرقان:20)، وبقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾ (الرعد:38).

تلك هي سنة الله في رسله أن يجعلهم من البشر، إذن شأنه ﷺ كغيره من الرسل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لطلب المعيشة ويتزوج النساء ويكون له أولاد ولا يقدح ذلك في رسالته كما لم يقدح في رسالات الأنبياء السابقين.

---

(1) القرطبي.

والرسل الكرام وإن كانوا هم الصفوة من البشر إلا أن فطرتهم البشرية تجعلهم كغيرهم من البشر يحتاجون لما يقوّم حياتهم من الاستمتاع بأنعم الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ (المؤمنون:51)، مهمتهم إبلاغ رسالات الله تعالى إلى من أرسلوا إليهم.

أما الرد على الشبهة الثالثة: فإنه قد ثبت بالمعجزات الظاهرة أنه رسول من عند الله، ومهمته تبليغ ما كلف به من الوحي وليس له أن يغير أو يبدل في أمور الرسالة ولا أن ينزل الملائكة أو الآيات إلا بإذن الله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ (الرعد: 38)، فالله تعالى هو الذي يملك إرسال الرسل وإنزال الملائكة والكتب، فالأمر لله وحده.

أما الشبهة الرابعة والخامسة: فقد جعلوا ميزان السعادة والفضل أمورًا مادية، ويريدون من وراء ذلك الوصول إلى نتيجة خبيثة هي أن الله تعالى لو كان يحب رسوله لأعطاه الكنوز وكانت له الحدائق الواسعة الوارفة الظلال، وهذا خطأ ظاهر، فإن المكاسب المادية ليست برهانًا على السعادة والفضل، فالله تعالى يعطي الملك والمال والصحة للبر والفاجر، وأما الرسالة فلا تكون إلا لمن اختصه الله واصطفاه من خلقه: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾(الأنعام:124).

ومع ذلك فإن تلك الأمور المادية سهلة ويسيرة على الله تعالى ولو شاء لوهبها لرسوله ﷺ، ولكن له الحكمة في ترك ذلك وله الحجة البالغة، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا﴾ (الفرقان:10)، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ (الحجر: 6).

عندما يرى الكفار من العرب حججهم تنهار وشبهاتهم تتلاشى تثور كوامن الأحقاد في أنفسهم فيهربون بما لا يعقل ولا يتفق مع المنطق السليم فيقولون عن محمد ﷺ: إنه مجنون، كما وصفوه بأنه ساحر أو مسحور، وبأنه ليس من عظماء القرشيين، أي مكة والطائف.

والسؤال الذي لابد منه هو: أن المجنون لا يعقل شيئًا وإنما يهذي بكلام لا يستند إلى منطق عقلي، ولا يكون عنده أسلوب يضم به أطراف الحديد فكيف أتى محمد ﷺ بهذا القرآن، الذي يتحدى الأجيال أن تأتي بمثله عبر القرون الغابرة؟ وهي وسيلة من وسائل التكذيب يستخدمها أعداء الرسل في كل زمان ومكان توجد فيه تلك الرسل، وقد نزل القرآن وفيه تسلية لرسول الله وإشعار بأن كل نبي تعرض لمثل هذه المفتريات، فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ (الذاريات:52).

لقد طلب القرآن من هؤلاء الظالمين المكذبين أن يتفكروا في أمر صاحبهم هذا، الذي نشأ بينهم وترعرع على مرأى ومسمع منهم بل كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم بالصدق والأمانة ورجاحة العقل، قال تعالى: ﴿۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ﴾ (سبأ:46).

لم يقف مشركو العرب وحدهم ضد رسالة محمد ﷺ فلقد لعب اليهود والنصارى أدوارًا مهمة في التكذيب والتشكيك، ولكن ما جاء به رسول الله ﷺ من الحق قد يتفق مع الحق الذي بقي لديهم من التوراة والإنجيل وإنكار الحقائق والصفات والنواميس، التي تُبعث بها الرسل خشية أن يظهر منهم ما يؤيد رسالة محمد ﷺ ولكنهم لم يألوا جهدًا في

الطعن والتشكيك في الرسالة وظهروا أمام الناس بمظهر المحافظ على عهود الله واحترام مواثيقه، فإنهم يقولون ما تركوا الإيمان بمحمد حسدًا له وإنما تركوا ذلك لأنه لم يأت بالمعجزات التي أتى بها الأنبياء السابقون، فهم معذورون إذا لم يؤمنوا به لأنه ليس نبياً صادقاً في زعمهم.

ولقد حكى القرآن عن اليهود شبهتهم هذه، ورد عليها بما يدحضها فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ (آل عمران:183).

وملخص هذه الشبهة أنهم قالوا: إن الله عهد إليهم في كتبهم ألا يؤمنوا لرسول حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من أمته فتُقُبلت منه أن تنزل نار من السماء فتأكلها.

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يرد عليهم بما يخرس ألسنتهم من واقع تاريخهم المظلم فقال: قل لهم يا محمد: ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي بالحجج والبراهين ﴿وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ﴾ أي بنار تأكل القرابين المتقبلة ﴿فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في زعمكم أنكم تتبعون الحق وتنقادون للرسل؟ فقد نقض القرآن دعواهم وأبطلها، ومعنى هذا أن العلة التي توجب عندكم الإيمان بالرسل قد وجدت، فلم قتلتموهم؟

أما النصارى فالبراهين الملزمة لهم بتصديق محمد ﷺ كثيرة جداً، ومنها حادثة المباهلة مع نصارى نجران في مسألة المسيح بن مريم، عليه السلام، حيث بلغ النقاش في هذه المسألة ذروته، وعولجت المشكلة من جميع جوانبها وهم لا يزدادون إلا إصرارًا على رأيهم وأباطيلهم، فوجه القرآن نظر

رسول الله ﷺ إلى أن يفض النزاع معهم ويلجأ إلى المباهلة، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (آل عمران:61).

وقد روي أنه لما دُعوا إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر، فلما خلوا مع بعضهم قالوا لحكيم لهم كان ذا رأي فيهم: يا عبد المسيح، ما ترى؟ فقال: الله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لتهلكن، فإن أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه، فودعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم(1).

فعدول النصارى عن المباهلة اعتراف منهم برسالة محمد ﷺ وحتى قامت الحجة على صدق الرسول أو حصل الاعتراف به وجب تصديقه في كل ما يخبر به؛ لأن الرسول لا يجوز عليه الكذب، ولا يخطئ بما يكلف بتبليغه من الوحي، ولا تجوز عليه الخيانة فيما يبلغ عن الله تعالى.

أما شمول الرسالة المحمدية لعموم البشر، فلا يخلو الأمر إما أن يكون المخالف مؤمنًا بأنه مرسل من عند الله ولكن رسالته خاصة بالعرب كما تقوله العيسوية(2)، وهي فرقة من فرق اليهود، وإما أن يكون المخالف منكراً للرسالة جملة وتفصيلاً، فأما المعترف له بالرسالة فإنه يلزمه أن يصدقه في كل ما جاء به عن الله، ومن ذلك عموم رسالته ونسخها للشرائع

---

(1) تفسير ابن كثير،368/1.

(2) العيسوية نسبة إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني، كان في زمن المنصور، وابتدأ دعوته في عهد مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية، وادعى أن له آيات ومعجزات، وزعم أنه نبي وأنه رسول المسيح المنتظر، انظر الشهرستاني، الملل والنحل،215/1- 216.

قبلها حتى شريعة موسى، عليه السلام، الذي قال فيه رسول الله ﷺ:«**لو كان أخي موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي**» أما كونه يؤمن برسول ولا يصدقه فيما جاء به فهذا تناقض ومكابرة.

أما المنكر لرسالة نبينا محمد ﷺ مطلقًا فقد قام البرهان على صدق صاحب الرسالة ﷺ ولا تزال معجزاته تتحدى الثقلين، الجن والإنس، وهي القرآن في أن يأتوا بمثله، ومع ذلك نقوله له: إما أن تأتي بما ينقض المعجزة القائمة وإلا لزمك الاعتراف بمدلولها، فإن اعترف بالرسالة لزمه التصديق بكل ما أخبر به الرسول ﷺ وإن ذهب يكابر ويعاند ليأتي بقرآن مثل ما جاء به محمد ﷺ وقع في العجز لا محالة، فقد عجز أرباب الصنعة البلاغية، ولا شك أن غيرهم أعجز من هذا؛ لأنه معجزة خالدة وتحدي المعجزات تحد للقدرة الإلهية التي لا تغلب، فإذا لم ينقضوا المعجزة القائمة بما يماثلها، فقد شهدوا على أنفسهم بالعجز والفشل.

أما الأدلة من القرآن الكريم على عموم رسالة محمد ﷺ فمنها ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان:1).

2- قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ (ص:28).

3- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:107).

4- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: 157-158).

والآية الرابعة لا تقبل الجدل في أن رسالة محمد ﷺ تشمل اليهود والنصارى لذكر التوراة والإنجيل ولأن السياق قبلها في بني إسرائيل ..

تلك معالم الرسالة المحمدية الخالدة، وإذا ظهر أدعياء الفكر الحديث من المستشرقين ومن تغذى بألبانهم وروجوا لدعاواهم في القرآن الكريم بأنه من قبيل الوحي النفسي فإننا نعلم يقينًا أنهم قد نسجوا على هذه الدسيسة ثوبًا أوهى من بيت العنكبوت، ولن تخفي عن ذوي العقول السليمة والبصائر النيرة تلك المطاعن المتهافتة، التي يضمرونها للطعن في القرآن الكريم ويدرسونها فيما يقدمونه للعالم من نتاج فكري يدعون فيه الإنصاف في القول والبحث عن الحقيقة، ولكنهم في بحوثهم تلك يدسون السم بالزعاف بشكل مقبول عند بسطاء الناس من ذوي الثقافة المحدودة، والحقيقة أن تلك الأفكار الجديدة التي يرتبها المستشرقون ويروجون لها ليست إلا إعادة لفكرة الجاهلية الأولى التي وقفت طويلاً أمام رسول البشرية وهاديها محمدﷺ، ولكن المفكرين من علماء الإسلام بحمد الله يدركون ما تنطوي عليه تلك الشبهات المغرضة، ولقد أحسن الدكتور محمد عبد الله دراز في رده على ما يسمى اليوم بالوحي النفسي، الذي يزعمون فيه أن محمداً ﷺ كان يتخيل القرآن عن طريق ذلك التصور الفكري حيث قال: «ومن تتبع أنواع المجادلات التي حكاها القرآن عن الطاعنين فيه رأى أن نسبتهم القرآن إلى تعليم البشر كانت هي أقل الكلمات دوراناً على ألسنتهم، وإن أكثرها وروداً في جدلهم

هي نسبته إلى نفس صاحبه، على اضطرابهم في تحديد تلك الحالة النفسية، التي صدر عنها القرآن: أشعر هي أم جنون أم أضغاث أحلام....»، ثم قال: «وهذا الرأي هو الذي يروجه الملحدون اليوم باسم «الوحي النفسي»، زاعمين أنهم بهذه التسمية قد جاءونا برأي علمي جديد وما هو بجديد وإنما هو الرأي الجاهلي القديم لا يختلف عنه في جملته ولا في تفصيله، فقد صوروا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجلاً ذا خيال واسع وإحساس عميق فهو إذاً شاعر، ثم زادوا فجعلوا وجدانه يطغي كثيراً على حواسه يخيل إليه أنه يرى ويسمع شخصًا يكلمه وما ذاك الذي يراه ويسمعه إلا صورة أخيلته ووجداناته فهو إذاً الجنون أو أضغاث الأحلام، على أنهم لم يطيقوا الثبات طويلاً على هذه التعديلات فقد اضطروا أن يهجروا كلمة «الوحي النفسي» حينما بدا لهم في القرآن جانب الأخبار الماضية والمستقبلة فقالوا لعله تلقنها من أفواه العلماء في أسفاره للتجارة فهو إذاً قد علمه بشر، فأي جديد ترى في هذا كله؟ أليس كله حديثًا معادًا يضاهئون به قول جهال قريش؟ وهكذا كان الإلحاد في ثوبه الجديد صورة منسوخة بل ممسوخة منه في أقدم أثوابه وكان غذاء هذه الأفكار المحتضرة في العصر الحديث مستمدًا من فتات الموائد التي تركتها تلك القلوب المتحجرة في عصور الجاهلية الأولى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (البقرة:118).

«وإن تعجب فعجب قولهم مع هذا كله: إنه كان صادقاً أميناً وإنه كان معذورًا في نسبة رؤاه إلى الوحي الإلهي؛ لأن أحلامه القوية صورتها له وحياً إلهياً فما شهد إلا بما علم، وهكذا حكى الله لنا عن أسلافهم حيث يقول: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام:33)، فإن كان هذا عذره في تصوير رؤاه وسماعه فما عذره في دعواه أنه لم يكن يعلم تلك الأشياء لا هو ولا قومه من قبل هذا بينما هو قد سمعها بزعمهم من قبل؟

فليقولوا: إنه افتراه ليتم لهم بذلك محاكاة كل الأقاويل، ولكنهم لا يريدون أن يقولوا هذه الكلمة لأنهم يدعون الإنصاف والتعقل، ألا فقد قالوها من حيث لا يشعرون»[1].

وخلاصة رأي هؤلاء الماديين: أن الوحي إلهام كان يفيض من نفس النبي الموحي إليه لا من الخارج، وقد ذكر العلامة السيد محمد رشيد رضا في كتابه «الوحي المحمدي» شبهات المنكرين لعالم الغيب على الوحي الإلهي وتصويرهم لنبوة محمد ﷺ بما يسمونه بالوحي النفسي وذكر أن «أميل درمنجام» قد فصل الشبهة التي أجملها «مونتيه»، كما ذكر أن هذه الشبهة لها عشر مقدمات: منها دعوى الأخذ من بحيرا الراهب، والأخذ من ورقة بن نوفل، ودعوى انتشار النصرانية واليهودية في بلاد العرب..... الخ، وقد ناقش تلك الشبهات ورد عليها بمنطق الحجة والبرهان[2].

ونكتفي بهذا القدر من الأدلة على عموم رسالة نبينا محمد ﷺ وشمولها إذ لو ذهبنا نستقصي الأدلة ونناقش شبهات الخصوم لخرجنا من حد الاختصار.

المبحث الرابع

إثبات البعث والجزاء

الجدال في البعث والجزاء من الموضوعات المهمة التي شغلت الفكر الإنساني منذ القدم وتصارعت فيها الأفكار بين السلب والإيجاب، والبشرية بما هو مرتكز في فطرتها من حب البقاء تقاوم فكرة العدم

(1) النبأ العظيم، ص 59 – 60.

(2) انظر الوحي المحمدي، ص87-141.

المحض؛ لأنها تحس بالحسرة الصارخة عندما تختنق فيها بواعث الأمل باستمرار هذه الحياة الدنيا، فهي ترى مظاهر الموت على قدم وساق، حيث تسلب الحياة من هذه الأجساد ثم لا تلبث الأجساد أن تتحول إلى رفات ثم تتحلل إلى ذرات، فإذا كان مصير الإنسانية إلى هذا الفناء الرهيب، فما أبشعها من حياة محوطة بالمخاطر بين لحظة وأخرى، إنها رحلة تشدها الأحاسيس والمدارك إلى حفرة رهيبة في نهاية المطاف فتصبح فيها الأجساد رمة عفنة ينهشها الدود من كل مكان.

وقد جاءت الأديان السماوية مبشرة بحياة أخرى بعد الموت، وجعلت مصير كل إنسان مرتهناً بما قدمت يداه في الحياة الدنيا، وبذلك عاد للإنسانية نوع من الطمأنينة إذا هي آمنت بربها وما جاءت به رسله، وقدمت عملاً صالحاً تسعد به في حياتها الأخرى.

وإذا كانت جميع الأديان السماوية تدعو للإيمان بالحياة الأخرى والبعث بعد الموت فقد كانت الأديان السابقة تكل المؤمن إلى إيمانه الذي يفترض عليه التصديق بكل ما جاءت به رسل الله، عليهم الصلاة والسلام، من أنباء الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، وختمت تلك الرسالات برسالة الإسلام الخالدة، وهي الرسالة العالمية وليس بعدها رسالة تبين للناس ما يختلفون فيه وما يستجد من حياتهم العقلية والحضارية، فلا بد أن تكون وافية بمطالب الروح والجسد في تعاليمها وهداياتها، ولا بد أن تكون براهينها قائمة على ما جاءت به من مبادئ

وقيم لأن الجدل مرتكز في بني الإنسان جبله وطبعًا: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف: 54).

ولما كان الإقناع بحياة أخرى بعد الموت من الأمور التي تشغل الفكر الإنساني فقد جاء القرآن الكريم وافيًا بالأدلة والبراهين القاطعة على البعث والجزاء، وعرض ذلك في نماذج حية وضمنها شبه المنكرين للبعث، ولم يتركها تمر دون مناقشة لها بالمنطق الصحيح وإبطال الشبه والملابسات بالبراهين العقلية التي تزيل فكرة الفناء الأبدي وتعيد للإنسانية طمأنينتها وتدفعها للعمل، وتحيي فيها آمال التسابق في الدرجات العلا في حياة أفضل.

والقرآن الكريم وهو كتاب الله الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ (فصلت:42)، يرد على جميع المنكرين للبعث مهما اختلفت بيئاتهم أو تنوعت أساليبهم، يرد عليهم بمنطق الحجة والبرهان، ويقيم البراهين الحسية والعقلية على المعاد.

منهج القرآن في استدلاله على إمكان البعث وتحقق وقوعه

ولقد نهج القرآن الكريم في استدلاله على إمكان البعث وتحقق وقوعه منهجاً قوياً يجمع بين ما فطرت على النفوس من الإيمان بما تشاهد وتحس ويقع منها تحت تأثير السمع والبصر وبين ما تقرره العقول السليمة ولا يتنافى

مع الفطر المستقيمة، وتلك طريقة تميز بها القرآن الكريم مما لا تجده في كتب الحكمة النظرية.

وكان منهج القرآن في استدلاله على البعث كما يلي:

أولاً: الاستدلال على البعث بمن أماتهم الله ثم أحياهم:

كما أخبر الله تعالى عن ذلك، ومنهم:

1- قوم موسى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة:55- 56).. وقيل: إن الذين أخذتهم الصاعقة هم السبعون الذين اختارهم موسى، ذلك أنهم لما أسمعهم كلام الله تعالى قالوا له بعد ذلك: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾، والإيمان بالأنبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم، فأرسل الله إليهم ناراً من السماء فأحرقتهم ثم دعا موسى ربه فأحياهم، كمال قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾(1).

2- المضروب بعضو من أعضاء البقرة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَءْتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٧٢ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:72- 73).. وقيل: إن المقتول ضرب ببعض من أعضاء تلك البقرة التي أمرهم الله أن يذبحوها كمال قال موسى لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ (البقرة:67)، فما ضرب به حيي وأخبر بقاتله ثم عاد ميتًا كما كان(2).

---

(1) انظر تفسير القرطبي،403/1.

(2) انظر تفسير القرطبي،457/1.

3- الذين أخبر الله عنهم بقوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾(البقرة:243).. وهؤلاء قوم من بني إسرائيل وقع فيهم الوباء ففروا هاربين، قال ابن عباس: «كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارًا من الطاعون، وقالوا: نأتي أرضاً ليس بها موت فأماتهم الله تعالى فمر بهم نبي فدعا الله فأحياهم»(1).

4- ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(البقرة:259).

والذي مر على القرية هو «عزير»، عليه السلام، قال ابن كثير في تفسيره: «وهذا القول المشهور.. والقرية المشهورة هي بيت المقدس مر عليها عزير بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها»(2).

5- سؤال إبراهيم، عليه السلام، عن كيفية إحياء الموتى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(البقرة:260).

---

(1) انظر تفسير القرطبي،230/3.

(2) انظر تفسير ابن كثير،314/1.

وقد ذكر المفسرون لسؤال إبراهيم، عليه السلام، هذا أسباباً منها: أنه لما قال للنمرود: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ أحب أن يترقى من علم اليقين بذلك إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة»، وأما حديث «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ...﴾» فقد تقدم أنه لم يكن شاكًا في قدرة الله قطعًا.

أما قوله تعالى: ﴿فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ﴾، فقد روى ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه قال: أوثقهن، فلما أوثقهن ذبحهن ثم جعل على كل جبل منهن جزءاً، فذكروا أنه عمد إلى أربعة من الطير فذبحهن ثم قطعهن ونتف ريشهن ومزقهن وخلط بعضهن ببعض ثم جزأهن أجزاء وجعل على كل جبل منهن جزءاً، قيل أربعه أجبل وقيل سبعة، قال ابن عباس: وأخذ رؤوسهن بيده ثم أمره الله عز وجل أن يدعهن فدعاهن كما أمره الله عز وجل، فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش، والدم إلى الدم، واللحم إلى اللحم، والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها إلى بعض حتى قام كل طائر على حدته وأتينه يمشين سعيًا ليكون أبلغ له في الرؤية التي سألها، وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم، عليه السلام، فإذا قدم له غير رأسه يأباه، فإذا قدم إليه رأسه تركب مع بقية جسده بحول الله وقوته»[1].

6- ما أخبر الله به عن عيسى، عليه السلام، من أنه كان يحيي الموتى بإذن الله، كما قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾(آل عمران:49).

(1) انظر تفسير ابن كثير،315/1.

7- ما أخبر الله به من قصة أصحاب الكهف.

وهذه الأدلة المتقدمة أدلة مادية حسية، وقعت كلها لتدل على إحياء الموتى بعد مماتهم، وهذا برهان قطعي على القدرة الإلهية، وقد أخبر الله ورسله عن وقوع البعث والحشر فوجب القطع بذلك؛ لأنه أخبر به من ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته.

ثانيًا: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى:

ومن الآيات الدالة على ذلك ما يلي:

1- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾(الحج:5- 7).

في هذه الآيات دليلان على إمكان البعث: أحدهما دليل في الأنفس والآخر في الآفاق، فأما الدليل الذي في الأنفس فهو ما اشتمل عليه صدر الآية وهو متعلق بالنشأة الأولى، وأما الدليل الآفاقي فهو قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ وهو الاستدلال بخلق النبات على إمكان البعث كما سيأتي، وإنما أوردنا

الاستدلالين لنرى النتائج الخمس المذكورة بعدهما عليهما، وقد اشتمل الدليلان على مقدمات صحيحة في إمكان البعث، والدليلان هما:

أ- الاستدلال بخلقه الحيوان أولاً وهو موافق لما أجمله الله في قوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (يس:79)، وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ من يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(الإسراء:51)، فكأنه سبحانه تعالى قال: إن كنتم في ريب مما وعدناكم من البعث فتذكروا في خلقتكم الأولى لتعلموا أن القادر على خلقكم أولاً قادر على خلقكم ثانيًا(1).

ب- الاستدلال بحال خلقه النبات على ذلك: وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً...﴾، ثم إنه سبحانه لما قرر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب والنتيجة، وذكر أموراً خمسة:

1- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ والحق هو الموجود الثابت، فكأنه سبحانه بين أن هذه الوجوه دالة على وجود الصانع، وحاصلها راجع إلى أن حدوث هذه الأعراض المتنافية وتواردها على الأجسام دليل على وجود الصانع.

2- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فهذا تنبيه على أنه لما لم يستبعد من الإله إيجاد هذه الأشياء فكيف يستبعد منه إعادة الأموات؟

3- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ يعني أن الذي يصح منه إيجاد هذه الأشياء لا بد أن يكون واجب الاتصاف لذاته بالقدرة، ومن كان كذلك كان قادراً على جميع الممكنات، ومن كان كذلك فإنه لا بد أن يكون قادراً على الإعادة.

---

(1) الفخر الرازي،7/23.

4- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾؛ والمعنى أنه لما أقام الدلائل على أن الإعادة في نفسها ممكنة، وأنه تعالى قادر على كل الممكنات وجب القطع بكونه قادرًا على الإعادة في نفسها، وإذا ثبت الإمكان وأخبر الصادق عن وقوعه وجب القطع بوقوعه[1].

5- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾؛ لأنه خبر ممن ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته فوجب القطع بوقوعه أيضاً.

قال الفخر الرازي: «واعلم أن تحرير هذه الأدلة على الوجه النظري أن يقال الإعادة في نفسها ممكنة والصادق أخبر عن وقوعها فلا بد من القطع بوقوعها»[2].

وقد أورد السيوطي في الإتقان: «أن الإسلاميين من أهل هذا العلم، يعني (المنطق) ذكروا في أول سورة الحج إلى قوله ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات، وهي:

قوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ لأنه خبر أخبر به من ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته منقول إلينا بالتواتر فهو حق، ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا الحق، فالله هو الحق، وأخبر تعالى أنه يحيي الموتى، لأنه أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر، وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى ليشاهدوا تلك الأهوال التي يعملها من أجلهم، وقد ثبت أنه قادر على كل شيء، ومن الأشياء إحياء الموتى فهو يحيي الموتى.

---

(1) الفخر الرازي، مع بعض التصرف،23/9-10.

(2) الفخر الرازي،23/10.

وأخبر أنه على كل شي قدير؛ لأنه أخبر أنه من يتبع الشياطين ومن يجادل فيه بغير علم يذقه عذاب السعير، ولا يقدر على ذلك إلا من هو على كل شي قدير، فهو على كل شي قدير.

وأخبر أن الساعة آتية لا ريب فيها؛ لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلق الإنسان من تراب إلى قوله: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ وضرب لذلك مثلاً بالأرض الهامدة التي ينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج، ومن خلق الإنسان على ما أخبر به فأوجده بالخلق ثم أعدمه بالموت ثم يعيده بالبعث وأوجد الأرض بعد العدم فأحياها بالخلق ثم أماتها بالمحل ثم أحياها بالخصب، وصدق خبره في ذلك كله بدلالة الواقع المشاهد على المتوقع الغائب حتى انقلب الخبر عياناً صدق خبره في الإتيان بالساعة ولا يأتي بالساعة إلا من يبعث من في القبور؛ لأنها عبارة عن مدة يقوم فيها الأموات للمجازاة، فهي آتية لا ريب فيها، وهو سبحانه يبعث من في القبور(1).

وهذا الكلام الذي أورده السيوطي هنا لا يخلو من ضعف نظري:

وقد انتقده العلامة الألوسي فقال ما نصه: «هذا وفي الإتقان للجلال السيوطي أن الإسلاميين من أهل المنطق ذكروا في أول سورة الحج إلى قوله تعالى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات ثم بين ذلك بما يقضي منه العجب ويدل على قصور باعه في ذلك العلم(2).

ولم يترك الإمام الألوسي الكلام يمر على علاته بل حاول أن يرتبه ترتيبًا منطقيًا فقال: وقد يقال في بيان ذلك أن النتائج الخمس هي الجمل المتعاطفة الداخلة في حيز الباء: واستنتاج الأولى: بأنه لو لم يكن الله

(1) السيوطي، الإتقان،4/52-53.

(2) تفسير الألوسي، 121/17.

سبحانه هو الحق أي الواجب الوجود لذاته لما شوهد بعض الممكنات من الإنسان والنبات وغيرها والتالي باطل ضرورة فالله تعالى هو الحق، ودليل الملازمة برهان التمانع.

واستنتاج الثانية: بأنه لو لم يكن سبحانه قادرًا على إحياء الموتى لما طور الإنسان في أطوار مختلفة حتى جعله حيًا وأنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، والتالي ضرورة أن الخصم لا ينكر أنه تعالى أحيا الإنسان وأحيا الأرض، فالله قادر على إحياء الموتى ووجه الملازمة ظاهر.

واستنتاج الثالثة: بأنه إذا كان الله تعالى قادراً على إحياء الموتى فهو سبحانه على كل شي قدير، لكنه قادر على إحياء الموتى فهو على كل شي قدير، ووجه الملازمة أن المراد من الشيء الممكن، وإحياء الموتى ممكن، والقدرة على بعض الممكنات دون بعض تنافي وجوب وجوده تعالى الذاتي، وأيضاً إحياء الموتى أصعب الأمور عند الخصم المجادل حتى زعم أنه من الممتنعات، فإذا ثبت أنه سبحانه قادر عليه بما سبق وثبت أنه تعالى قادر على سائر الممكنات بالطريق الأولى.

واستنتاج الرابعة: بأن الساعة أمر ممكن ووعد الصادق بإتيانه وكل أمر ممكن وعد الصادق بإتيانه فهو آت فالساعة آتية، أما أن الساعة أمر ممكن فلأنه لا يلزم من فرض وقوعها محال، وأما أنها وعد الصادق بإتيانها فالآيات القرآنية المتحدى بها، وأما أن كل أمر ممكن وعد الصادق بإتيانه فهو آت فلاستحالة الكذب.

واستنتاج الخامسة بنحو ذلك[1].

---

(1) تفسير الألوسي،121/17.

وكلام الألوسي جيد إلا في تعليقه على استنتاج الثالثة: فلا أدري هل حدث ذلك سهوًا حيث أسقط بعض الحروف وزاد بعض الكلمات أم أنه وقع فيما يذكر أنه وقع فيه السيوطي قبله، فالكمال لله وحده.

ويمكن أن يستقيم كلام الألوسي إذا تصرفنا في العبارة، فيكون الترتيب هكذا: واستنتاج الثالثة: بأنه لو لم يكن الله تعالى قادرًا على إحياء الموتى لما كان على كل شي قدير، لكنه قادر على إحياء الموتى فهو على كل شي قدير... الخ.

أما انتقاده للسيوطي في الكلام السابق فإن فيه نظراً لأن السيوطي لا يلام إذا كان الكلام الذي أورده في الإتقان لغيره فإنه حينئذ يكون ناقلاً وليس على الناقل من عهدة إلا الصحة في النقل، والذي يدل على أن السيوطي كان ناقلاً ذلك الكلام عن ابن أبي الأصبع أمور ثلاثة:

أ- أن ذلك الكلام الذي انتقده الألوسي جاء في سياق نقل السيوطي عن أبي الأصبع حيث قال ما نصه: وقال ابن أبي الأصبع: زعم الجاحظ أن المذهب الكلامي لا يوجد منه شي في القرآن وهو مشحون به... الخ، ولم يرد في السياق ما يدل على انتهاء كلام ابن أبي الأصبع واستئناف كلام جديد.

ب- أنه قال بعد انتهائه من ذلك الكلام الذي هو موضع نقد الألوسي ما نصه «وقال غيره: استدل سبحانه وتعالى على المعاد الجسماني بضروب... الخ فكلام السيوطي ظاهر بأنه لا يزال في نقل كلام ابن أبي الأصبع، إلى قوله: «وقال غيره يعني غير ابن أبي الأصبع».

ج- أن الكلام الذي نقله السيوطي في الإتقان موجود في كتاب «بدائع القرآن» لابن أبي الأصبع المصري المتوفى سنة 654هـ وقد نقله عنه السيوطي

حرفيًا (انظر بدائع القرآن، بتحقيق الدكتور حفني شرف، مطبعة الرسالة 1377 هـ 1957م، ص37 – 39)، فتأمل هذا والعلم عند الله تعالى.

2- قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس:78- 79).

قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي وقتادة: جاء أبي بن خلف لعنه الله إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم وهو يفته يذروه في الهواء وهو يقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا ؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار**» ونزلت هذه الآيات من آخر يس.

وروي عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه قال: أن العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء ففتته بيده ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيي هذه الله بعدما ترى؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم**» قال: ونزلت الآيات من آخر يس.

وسواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أبي بن خلف أو العاص أو فيهما فهي عامة في كل من أنكر البعث؛ ذكره ابن كثير(1).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في قول الله تعالى حكاية عن منكر البعث: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ قال: إنه قياس حذفت إحدى مقدمته لظهورها والأخرى سالبة كلية قرن معها دليلها وهو المثل المضروب الذي ذكره بقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾، وهذا الاستفهام إنكار متضمن للنفي، أي لا أحد يحيي العظام وهي رميم، قال كونها رميمًا يمنع عنده إحياءها لمصيرها إلى حال اليبس والبرودة

(1) تفسير ابن كثير،581/3.

المنافية للحياة التي مبناها على الحرارة والرطوبة ولتفرق أجزائها واختلاطها بغيرها، ولنحو ذلك من الشبهات.

والتقدير: هذه العظام رميم ولا أحد يحيي العظام وهي رميم، فلا أحد يحيها، ولكن هذه السالبة كاذبة ومضمونها امتناع الإحياء، فبين سبحانه إمكانه من وجوه ببيان إمكان ما هو أبعد من ذلك وقدرته عليه فقال: ﴿يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ﴾ وقد أنشاها من التراب، ثم قال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ ليبين علمه بما تفرق من الأجزاء أو استحال[1].

3- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ۝٤٩ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾ (الإسراء:49- 51).

إن شبهات المنكرين للبعث تكاد تكون متجانسة، لأنها تدور حول استبعاد جميع الأجزاء بعد تفرقها وإعادة الحياة إليها بعد فنائها، وهذه الشبه لا تكون إلا بالقدح في كمال علم الله المحيط بكل شيء وكمال قدرته على كل شيء، وقد قام البرهان على كمال العلم والقدرة لله تعالى، فلا وجه للاستبعاد والاستغراب بعد ذلك، وفي قوله تعالى: ﴿۝ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ﴾ يعني به أنكم مهما تفرقتم وعلى أية حالة كنتم فالله قادر على بعثكم وإعادتكم حتى لو تحولتم إلى حجارة أو حديد، فالله قادر على إعادة الحياة إليكم مرة أخرى، مع أن المنافاة بين الحجرية والحديدية وبين قبول الحياة أشد من المنافاة بين العظمة

(1) درء تعارض العقل والنقل (مطبعة دار الكتب،1971م)33/1.

وبين قبول الحياة، وذلك أن العظم قد كان جزءًا من بدن الحي أما الحجارة والحديد فما كانا البتة موصوفين بالحياة.

وفي قوله ﴿فَسَيَقُولُونَ من يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ استدلال بالنشأة الأولى على الثانية، وهذا هو الشاهد من الآية، أما قولهم: ﴿مَتَىٰ هُوَ﴾؟ فهو سؤال فاسد كما ذكره الرازي؛ لأنهم حكموا بامتناع الحشر والنشر بناء على الشبهة التي حكيناها ثم إن الله تعالى بين البرهان الباهر كونه ممكنًا في نفسه فقولهم ﴿مَتَىٰ هُوَ﴾؟ كلام لا تعلق له بالبحث الأول فإنه متى ثبت بالدليل العقلي كونه ممكن الوجود في نفسه وجب الاعتراف بإمكانه، فأما أنه متى يوجد فذاك لا يمكن إثباته من طريق العقل بل إنما يمكن إثباته بالدلائل السمعية، فإن أخبر الله تعالى عن ذلك الوقت المعين عرف وإلا فلا سبيل إلى معرفته(1).

4- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (الروم:27)، في هذه الآية استدلال على البعث بالقياس الأولوي، وفي قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ ضرب مثل؛ لأنه لا يوجد بالنسبة لله تعالى شيء هو أسهل وشيء هو أصعب وإنما المقدورات عندنا متفاوتة في العسر واليسر باختلاف القدرة التي تزيد وتنقص في حقنا، ولما كان إيجاد شيء لا من شيء مستحيلاً منا، وإيجاد شيء من شيء ممكنًا استعارته كلمة افعل، وضرب ذلك مثلاً ولما استحال في حقه العجز والضعف عن إيجاد شيء لا من شيء، قال: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وذلك مطرد في سائر صفاته سبحانه من العلم والقدرة والحياة والرحمة والرضا

(1) انظر الفخر الرازي،226/20.

والغضب، وكل صفة وصف بها الإنسان من ذلك فإن لله تعالى من ذلك ما يليق بجلاله وعظمته وللمخلوق ما يليق بعجزه وضعفه.

5- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ (مريم: 66- 67).

بهذا المنطق الصحيح والبرهان القاطع يرد القرآن الكريم على ذلك المنكر ويجادله في أسلوب هادئ محكم فيلزمه الحجة الواضحة في أقل من نصف سطر، وفي الآية كما ترى استدلال على المعاد بالنشأة الأولى.

ثالثاً: الاستدلال على إمكان البعث بخلق الأكوان:

وذلك مثل السموات والأرض فإن خلقها أعظم من خلق الإنسان، ومن الآيات الدالة عليه ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ (الإسراء: 98- 99).

2- قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (يس:81).

3- قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(الأحقاف: 33).

وجميع الآيات السابقة وما في معناها من الآيات أكبر برهان على قدرة الله المطلقة التي لا تقيد بقيود ولا تنتهي عند حدود، فإن تلك الآيات الكونية مما هو معروف ببداهة العقول أن خلقها أعظم من إعادة خلق الإنسان.

رابعاً: الاستدلال على إمكان البعث بخلق النباتات المختلفة:

ومن الآيات ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: 57).

2- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ (فاطر:9).

3- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت:39).

4- قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (الرعد:4- 5).

وفي الآيات السابقة استدلال بتبدل أحوال النباتات من حياة إلى موت فحياة. وسلب خاصية النشوء والنماء في بعض النباتات فتهمد وتتفتت ثم تسقى بالماء فتعود إليها تلك الخاصية فلو كان مستحيلاً إعادة الحياة إلى الإنسان مرة أخرى لما عادت الحياة إلى النباتات المختلفة بعد موتها؛ لأن المشابهة واضحة في القدرة الإلهية في إعادة الحياتين سيرتهما الأولى، ولهذا

لفت القرآن الكريم أنظار المنكرين إلى التبصر في الموجودات الحسية واستنتاج العظات والعبر منها ليعود للنفس إيمانها فتسعد بالطمأنينة والاستقرار، وقد تقدمت المشابهة بين إعادة الحياة إلى النبات بالمطر وإعادة بناء الأجساد وإنباتها بالمطر الذي يجعله الله عند البعث.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ...﴾ إشارة إلى أن العجب يكون من إنكارهم لا من البعث، ومعناه: إن كان لك عجب من شي فمن إنكارهم البعث، فأعجب لأن العجب ما ندر وجوده وخفي سببه وليس البعث مما ندر وهم يشاهدون إحياء الأرض بعد موتها، واكتساء الأشجار بعد عريها، وعود النهار بعد زواله والليل بعد ذهابه، وإخراج الحي من الميت والميت من الحي، ولا مما خفي سببه فإن الله سبحانه هو الفاعل لذلك والمخترع له والقادر عليه وحكمته إظهار ما استتر عن خلقه من تدبيره، وما النشأة الثانية بأعجب من الأولى(1).

خامسًا: الاستدلال على إمكان البعث بحصول أحد المتضادين:

فإن الإحياء بعد الموت لا يستنكر من حيث إنه يحصل الضد بعد حصوله الضد إلا أن ذلك غير مستنكر في قدرة الله تعالى؛ لأنه لما جاز حصول الموت عقيب الحياة فكيف يستبعد حصول الحياة مرة أخرى بعد الموت؟ فإن حكم الضدين واحد، قال تعالى مقررًا لهذا المعنى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (الواقعة: 60).

سادسًا: الاستدلال على البعث والإعادة بإخراج النار من الشجر الأخضر:

(1) انظر ابن الحنبلي، استخراج الجدال من القرآن الكريم، مخطوطة، ص 14.

1- قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾ (يس:80).

2- قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ﴾ (الواقعة: 71- 72).

وفي الآيتين السابقتين استدلال بتولد النار مع حرها ويبسها من الشجر الأخضر مع برده ورطوبته.

قال الفخر الرازي في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾: «ووجهه هو أن الإنسان مشتمل على جسم يحس به حياة سارية فيه وهي كحرارة جارية فيه، فإن استبعدتم وجود حرارة وحياة فيه فلا تستبعدوه، فإن النار في الشجر الأخضر الذي يقطر منه الماء أعجب وأغرب، وأنتم تحضرون حيث منه توقدون، وإن استبعدتم خلق جسمه فخلق السموات والأرض أكبر من خلق أنفسكم فلا تستبعدون، فإن الله خلق السموات والأرض»(1)، وفي هذا عبرة عظيمة فإن الله تعالى جمع في الشجر الأخضر بين الماء والنار والخشب فلا الماء يطفئ النار ولا النار تحرق الخشب.

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ...﴾ أما أن يراد من شجرة النار الشجرة التي توري النار منها بالزند، والزند كالمرخ والعفار، أو يراد بها الشجرة التي تصلح لإيقاد النار كالحطب فإنها لو لم تكن لم يسهل إيقاد النار، ووجه دلالة النار على البعث أن النار تكمن في الشجر والحجر ثم تظهر بالقدح وتشب بالنفخ، فالحجر والشجر كالقبر والقدح والنفخ كالنفخة في الصور.

(1) تفسير الرازي،110/26.

وقد تحدث فلاسفة الإسلام عن إمكان البعث وأبرزوا ذلك في دراساتهم النظرية ولكنهم يجدون بغيتهم في القرآن الكريم بأوجز عبارة وأحكم برهان، ولا غرابة إذا رأينا الفيلسوف الكندي متأثرًا بتلك البراهين في دراسته للتفسير من الناحية النظرية.

فقد تحدث عن الآيات التي في آخر سورة يس، كما نقله عنه الأستاذ أبو ريدة، حيث قال في تفسير الكندي لهذه الآيات: يبرز فيلسوفنا الأصول النظرية التي تتضمنها هذه الآيات من جهة ويستخرج النتائج التي تلزم عنها من جهة أخرى، وهي:

1- وجود الشيء من جديد بعد كونه وتحلله السابقين ممكن بدليل مشاهدة وجوده بالفعل مرة لا سيما أن جمع المتفرق أسهل من إيجاده وإبداعه عن عدم، وإن كان لا يوجد بالنسبة لله شيء هو أسهل وشيء هو أصعب، هذا الدليل موجود في الآيات في كلمات قليلة: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

2- ظهور الشيء من نقيضه كظهور النار من الشجر الأخضر ممكن واقع تحت الحس، وإذن يمكن أن تدب الحياة في الجسد المتحلل الهامد مرة أخرى، وذلك أيضاً على أساس المبدأ الأكبر وهو: أن الشيء يمكن أن يوجد من العدم المطلق بفعل المبدع الحق، هذا الدليل موجود في آية: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾، وقد انتفع به الأشعري في إمكان البعث.

3- خلق الإنسان أو أحياؤه بعد الموت أيسر من خلق العالم الأكبر بعد أن لم يكن وهذا هو مضمون آية: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

4- الخلق والفعل مطلقاً مهما عظم المخلوق لا يحتاج من جانب الله المبدع لا إلى مادة ولا إلى زمان، خلافًا لفعل البشر الذي لا يتم إلا في زمان ويحتاج إلى مادة تكون موضوع الفعل، وهذا هو معنى آية: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (يس:82).

وهذه الآية في رأي الكندي إجابة عما في قلوب الكفار من النكير بسبب ظنهم أن الفعل الإلهي المتجلي في خلق العالم الكبير يحتاج إلى زمان يناسب عظمته قياسًا منهم لفعل الله على فعل البشر، لأن فعل البشر لما هو أعظم يحتاج إلى مدة زمانية أطول فجاءت الآية حاسمة في بيان نوع الفعل الإلهي وأنه إبداع بالإرادة الخالقة والقدرة المطلقة لا يحتاج إلى مادة ولا إلى امتداد زماني.

فأي بشر – كما يقول الكندي – يقدر بفلسفة البشر أن يجمع في قول بقدر حروف هذه الآيات ما جمع الله جل وتعالى إلى رسوله ﷺ فيها من إيضاح أن العظام تحيا بعد أن تصير رميمًا، وأن قدرته تخلق مثل السموات والأرض، وأن الشيء يكون من نقيضه، كلّت عن ذلك الألسن المنطقية المتحايلة، وقصرت عن مثله نهايات البشر، وحجبت عنه العقول الجزئية[1].

سابعاً: الاستدلال على إمكان البعث بأن اختلاف الناس في الدنيا لا يرتفع:

(1) رسائل الكندي، 57-58.

«واختلاف المختلفين في الحق لا يوجب انقلاب الحق في نفسه»، فوجب أن يكون هنا معاد ينحسم فيه النزاع ولا يكون ذلك ألا بين يدي الحي القيوم، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ (النحل: 38- 39).

وقد أورد السيوطي في الإتقان قول ابن السيد في الآيتين السابقتين «وتقريرهما أن اختلاف المختلفين في الحق لا يوجب انقلاب الحق في نفسه وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه، والحق في نفسه واحد، فلما ثبت أن ها هنا حقيقة موجودة لا محالة وكان لا سبيل لنا في حياتنا إلى الوقوف عليها وقوفاً يوجب الائتلاف ويرفع عنا الاختلاف إذا كان الاختلاف مركوزاً في فطرنا وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الجبلة ونقلها إلى صورة غيرها صح ضرورة أن لنا حياة أخرى غير هذه الحياة فيها يرتفع الخلاف والعناد، وهذه هي الحالة التي وعد الله بالمصير إليها، فقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ (الأعراف:43)؛ أي حقد فقد صار الخلاف الموجود كما ترى أوضح دليل على كون البعث ينكره المنكرون»[1].

فكل خصومة لا بد لها من منتهى في موقف ينقطع فيه الجدال بالباطل ويذهب فيه عنفوان المكابرة والعناد، وهذا الشعور الوجداني هو الذي يشعر به كل مظلوم وينتظر ساعة الفصل العادلة إذا لم يحصل على إنصافه في الدنيا «وعند الله تجتمع الخصوم».

ثامنًا: الاستدلال على البعث بأن حكمة الله وعدله يقتضيان البعث والجزاء:

(1) السيوطي، الإتقان،54/4.

فإن الله تعالى لم يخلق الناس عبثًا ولن يتركهم سدى، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة:36)، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون:115)؛ فعدل الله وحكمته وإحقاقه الحق وإبطاله الباطل وإعطاؤه لكل ذي حق حقه وتمييزه بين الخبيث والطيب والمحسن والمسيء كل ذلك يأبى إلا أن يكون هناك يوم آخر بعد نهاية الدنيا، ينال فيه كل إنسان جزاءه وما يستحقه من الثواب والعقاب على ما قدم من خير أو شر.

فإننا نرى أناسًا يفارقون الدنيا وهم ظالمون لم يقتص منهم، ونرى أناساً آخرين يفارقون الدنيا مظلومين لم ترد إليهم مظالمهم، ونرى أشراراً في الدنيا منعمين ونرى أخياراً فيها معذبين، فإذا ذهب كل إنسان بما فعل إن ظالماً أو مظلوماً، محظوظاً أو مهضوماً، كان ذلك خدشًا في عظمة الإلوهية وعدلها وقضائها فلا بد إذن من يوم يحضر الجميع فيه بين يدي الله ليقتص من الظالم للمظلوم، ولينال كل من المحسن والمسيء جزاءه، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ (الأنبياء: 47)، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية: 21).

ولهذه المعاني قال بعض الحكماء: «ثبت أن الله عز وجل حكيم، والحكيم لا ينقض ما بنى إلا لحكمة أتم من حكمة النقض ولا يجوز أن تكون انقص ولا مماثلة على ما لا يخفي»[1].

تاسعًا: الاستدلال على البعث بحصول اليقظة بعد النوم:

فإن النوم أخو الموت واليقظة شبيهة بالحياة بعد الموت.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام:60)، ذكر عقبه أمر الموت والبعث فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ (الأنعام:61-62).

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر:42).

والمراد منه الاستدلال بحصول هذه الأحوال على صحة البعث والحشر والنشر، كما ذكره الرازي وغيره.

---

(1) استخراج الجدال من القرآن، ص 14.

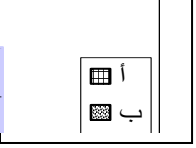
أ
ب